قيام اسرائيل كبرى حتى ضمن الحدود الحالية ، عدد سكانها ٥ ملايين انسان مندمجة بالنظام الامبريالي العام وتلعب في الوقت نفسه دورا استعماريا مستقلا وخاصا بها في المنطقة العربية . ستمارس الاستغلال لصالح النظام الامبريالي العام وبنفس الوقت لصالحها هي كدولة كبرى في الشرق الاوسط . النظام الامبريالي يمكن ان يوزع المهمات على هذا الشكل وهناك أمثلة عديدة على ذلك . نحن نتكلم عن استقلالية اسرائيل بهذا المعنى وليس بالمعنى المطلق . سؤال آخر بقي معلقا وجهه الياس سعد الى الدكتور صايغ وهو لماذا اتخذ الاستعمار الصهيوني الطابع الخالص ولم يأخذ طابع الاستعمار المعروف كما في الجزائر او افريقيه ؟ ربما يريد الدكتور صايغ التعليق على السؤال . اعتقد شخصيا ان من الدلائل التي توجهنا في الاتجاه الصحيح في الاجابة على هذا السؤال الادراك ان الحركة الصهيونية قامت ببناء الدولة وبعملية الاستعمار في وقت واحد بخلاف الحركات القومية الاخرى التي قامت اولا ببناء الدولة القومية البورجوازية الحديثة ومن ثم اتجهت نحو الاستعمار ، اي اولا جاء الاستغلال الداخلي ومن بعده جاء الامتداد الى الخارج والاستغلال الخارجي . بعد بناء الدولة القومية البورجوازية كان لا يمكن للاستعمار الا ان يأخذ طابع تشكيل طبقة مستغلة في البلد الواقع تحت الاستعمار حيث يتم استغلال اهل البلد الاصليين . بالمقابل نجد ان الذي حدث في الحركة الصهيونية هو مرافقة العملية الاستعمارية لعملية بناء الدولة . اي تم بناء الدولة اليهودية البورجوازية الحديثة على أساس العملية الاستعمارية خارج اوروبا . مما يعني طبعا انه اذا كان سيكون هناك ثمة بناء لمثل هذه الدولة بكافة طبقاتها ، كما ذكر الاستاذ الياس مرقص ، فلا بد اذن من عملية اجلائية ، لا بد من ارض فارغة او شبه فارغة . من ناحية اخرى يجب الا نهمل وعي الحركة الصهيونية للتركيب الاجتماعي لليهود في اوروبة ، وهي مسألة معروفة ، حيث كانوا يتركزون في قطاعات الانتاج الوسطى ويفتقرون الى العنصر الفلاحي والبروليتاري الصناعي واذا كانت الحركة الصهيونية تريد ، من خلال العمل الاستعماري ، بناء دولة بورجوازية حديثة فلا بد طبعا من العمل الهادف والمتعمد لانشاء هذه الطبقات وهذا يتطلب بدوره العملية الاجلائية . هنا أترك المجال للدكتور صايغ كي يعلق على الموضوع .

صايغ : الواقع اني فهمت كلام الاستاذ سعد على خلاف ما فهمتموه ، فهمته على انه سؤال يجيب بنفسه على نفسه ، اذ قال الاستاذ سعد انه اذا لم يكن غرض الصهيونية هو نقل اليهود البروليتاريين من اوروبة الى فلسطين فلماذا اذا كان غرضهم خلق استعمار خالص هناك . يعني ان الجواب كان متضمنا في السؤال . وجوابي هو ان الغرض الصهيوني كان دوما خلق دولة لليهود — هذا هو المرتكز الاساسي في أي فهم للصهيونية في نظري . واذ شئت ان تخلق دولة لليهود فانك لا تستطيع ان تفعل ذلك من اقلية يهودية في مجتمع مكتظ بالسكان غير اليهود بل لا بد من اقصاء السكان غير اليهود اثناء نقل اليهود الى هذه الارض كي تحول طبيعتها من أرض غير يهودية الى أرض ملأى بالسكان اليهود فتصبح قاعدة لدولة اليهود . اما تفسير النوايا الكامنة وراء اسباب ارادة خلق الدولة اليهودية فلكل منا رأيه حول الحافز والدافع لخلقها . لا اعتقد شخصيا ان نقل طبقة يهودية معينة من اوروبه الى الشرق الاوسط كان الحافز الرئيسي وراء فكرة خلق دولة اليهود ، ولكن مهما كان تفسيرنا لهذا الحافز فالنتيجة هي واحدة . فاذا شئت ان تخلق دولة لليهود في ارض ملأى بالسكان غير اليهود فلا بد لك من أن تقصي السكان غير اليهود لا ان تستوطن بينهم وتتعايش معهم وتخلق مجتمعا مختلطا ، يهوديا وغير يهودي ، في الوقت نفسه .

واحب الان ان اردد ما قلته عن الاستعمار الاستيطاني لانه أثار اكثر من سؤال من الاستاذ سعد كما اثار تعليقات من الدكتور شوفاني ومن مدير الندوة أيضا . واريد بكل اختصار ان اقول ان تأسيس مجتمع يهودي خالص كشرط لخلق دولة يهود كان دوما هو الغرض الصهيوني الاول ، لكن هذا لا ينفي ان للصهيونية ايضا مطامح امبريالية لذاتها ، اي أنها تطمح بالسيطرة على العالم العربي والاقتصاديات العربية ، ولكن كي تسيطر الصهيونية على الاقتصاديات العربية لمصلحتها او لمصلحة الامبريالية العالمية لا بد من أن تكون هناك كتلة يهودية متراصة هي نواة هذه الامبراطورية . هذه النواة هي دولة اليهود . اذن لا بد اولا من الاستعمار الخالص في فلسطين كي تنطلق منه بعد ذلك الى الامبريالية الاسرائيلية